الباب الرابع

المسلمون في الامبراطورية الروسية

- التكوين العرقي للشعوب المسلمة في الامبراطورية الروسية
- التوزيع الجغرافي للمسلمين في الامبراطورية الروسية .
- المسلمون في التركستان وآسيا الوسطى .
- المسلمون في حوض الفولجا وجبال الأورال .

الباب الرابع

المسلمون في الامبراطورية الروسية

التكوين العرقي والتركيب الاثنولوجي للشعوب المسلمة فى الامبراطورية الروسية

جبال آلتاى :

المسلمون فى الامبراطورية الروسية ، قبائل متعددة ،جذورها واحدة ، خرجت من منطقة جبال آلتاى وأراضي الاستبس الجاف ، وانتشرت فى مناطق واسعة فى شرق وجنوب شرق الاتحاد السوفييتي السابق ، فى سهوب كازاخستان ، وفى سهول مرتفعات وسط آسيا ، وفى القوقاز ، وفى إقليم الفولجا الأوسط ومرتفعات الأورال وحوض نهر لينا فى شرق سيبيريا ، وغيرها من المناطق .عاشت تلك القبائل في المناطق الممتدة اليوم من حدود الصين شرقا إلى بحر البلطيق غربا ، وقامت بدور هام في تاريخ الأمم والحضارات ، بعد أن كونت امبراطوريات واسعة على حساب جيرانها ، ولم تلبث أن استقرت فى المناطق التى فتحتها لوفرة أسباب الحياة فيها . شملت تلك المناطق منغوليا والتركستان والأورال والفولجا وشرق أوروبا ، وامتدت أحيانا إلى حوض البحر المتوسط ومرتفعات القوقاز كماحدث مع قبائل السلاجقة والعثمانيين .

اجتاحت قبائل الهون عام ٣٧٠م. جنوب روسيا ، وكان من بين المحاربين قبائل من الترك والمغول ، إذ كان معهم قبيلة البلغار التركية التي استقرت على شواطئ نهر الفولجا ، وفى عام ٥٥٢م. استطاعت قبيلة "ترك " ومقرها جبال آلتاى أن تسيطر على المنطقة الممتدة من حدود الصين شرقا حتى نهر الفولجا غربا ، مكونة امبراطورية عظيمة استمرت قرنين من الزمان ، وأطلق على أحد ملوكها "زعيم السبعة أجناس " وكانت منغولبا عاصمة لملكه ، وكان طريق الحرير الدولي تحت سيطرته .

وفى عام ٧٤٥م. حل **اليوغوريون** ugric فى السلطة محل الأتراك الذين أصبحوا محكومين لهم ، ولكن لم يستمر حكم اليوغورو طويلا ، إذ حل محلهم قبيلة تركية أخرى هي **قبيلة القرغيز** عام ٨٤٠م. بعد أن قضت عليهم ، ولكن سرعان ما استرد اليوغورو السلطة ثانية بعد عشر سنوات ، واستمرت سلطتهم وامبراطوريتهم حتى قضت عليها **قبيلة السلاجقة** التركية ، التي قضى عليها المغول بقيادة جنكيزخان عام ١٢٠٦م. ومنذ هذا التاريخ صعد نجم المغول وأصبح التاريخ يعرف الكثير عن قسوتهم وتخريبهم ، وقبل

جنكيز خان لم يكن التاريخ يعرف شيئا عنهم ، إذ لم يكن لهم دور يذكر في حياة القبائل الاستبسية ، فقد كانوا قبيلة صغيرة في شرق جبال آلتاى في نطاق الامبراطورية التركية، ومن المعروف أن جبال آلتاى هى الموطن الأصلي للأتراك والمغول ، وصارت منغوليا كما كانت من قبل مركزا لحكم الأتراك واليوغوريون UGRIC .

لم تلبث أن تفككت امبراطورية المغول الواسعة ، وحلت محلها في روسيا قبائل التتار TATARS التركية المغولية الذين أصبحوا أصحاب السلطة في قازان واستراخان وشبه جزيرة القرم ، حتى قضى عليهم إيفان الرهيب الروسى عام ١٥٥٢م.

والجدير بالذكر أن تلك الامبراطوريات لتركية المتعاقبة ، الواحدة بعد الأخرى ، لم يتعاقب فيها سوى الرؤساء والقيادات والزعامات التى كانت تنظم الجيوش وهم أهل القمة . أما الجسد والجيوش المغيرة فقد كانت من سائر القبائل الرحل في الاستبس الحاف، ففي امبراطورية الهون كانت بعض جيوشهم من القبائل التركية ، وفي امبراطورية الأتراك كانت في الجيش قبائل مغولية ويوغورية وقيرغيزية ، وفي امبراطورية المغول كان الأتراك يمثلون نسبة عالية في جيوشهم ، والجميع كانوا يتكلمون اللغة التركية المختلفة اللهجات في نطاق العائلة اللغوية التائية[1].

التوزيع الجغرافي للمسلمين في الامبراطورية الروسية"

الامبراطورية الرومانية الثالثة "

قبل انفراط الاتحاد السوفييتي السابق في مطلع التسعينات ، كان المسلمون يشكلون نحو ربع سكانه ، إذ بلغ تعدادهم عام ١٩٨٥م. نحو ٦٩ مليون نسمة ، حسب التعداد الرسمي المعتمد لدى الروس والجدير بالذكر أن الروس يعمدون إلى تسريب معلومات خاطئة عن حجم السكان المسلمين - كما يشغلون من الأرض ٢٧ فى المائة من مساحته ، أو ما يعادل ستة ملايين كيلو متر مربع ، تشمل مساحات واسعة من سيبيريا والتركستان وحوض نهر الفولجا والقوقاز وغيرها من أراض شرق أوروبا.

المسلمون في التركستان (آسيا الوسطى)

التركستان ــ بلاد الترك ــ بلاد سطع عليها شمس الإسلام ، وعمها نور الإيمان، منذ القرن الهجري الأول ، أيام الخليفة الأموي الخامس ، عبد الملك بن مروان (٧٣-٨٧هـ)، يوم أن تحركت جيوش الفتح الإسلامي عام ٧١٢م بقيادة قتيبة بن مسلم ، صوب سمرقند لتعلن الإسلام فيها ، وسرعان ما انتشر الإسلام هناك ، فكانت بخارى ، وسمرقند، وطشقند ، وفرغانه ، وفاراب ، ونسف ، وخوارزم ، وزمخشر ، ومرو ،

---

(١) د محمود طه أبو العلا ــ المسلمون فى الاتحاد السوفيتى السابق ــ الأنجلو .

وترمز ، وبيهق .. حواضر إسلامية علمية بارزة ساهمت في بناء الحضارة الإسلامية ، وكان منها أئمة العلم الكبار : البخاري إمام الحديث ، المولود في بخارى في أوزبكستان، والمتوفي عام ٢٥٦ من الهجرة ، وصاحب أصح الكتب بعد القرآن ، والترمذي ، المحدث والمحقق وصاحب سنن الترمذي ، المولود في ترمذ ، ولا يزال قبره موجودا هناك ، والنسائي وهو من علماء الحديث ، والفارابي الفيلسوف المسلم الذي كان يطلق عليه أرسطو الشرق ، المولود في فاراب ، والطبري المؤرخ والمفسر ، والخوارزمي عالم الرياضيات ، وابن سينا الطبيب والأديب والفيلسوف المشهور ، المولود في أفشنة بالقرب من بخارى ، والغزالي حجة الإسلام ، والزمخشري وهومن أئمة التفسير ، والبيهقي وهومن أئمة الحديث ، وفي مرو ــ قرية من أوزبكستان قرب بخارى تسمى عرب خانة ــ ولد الإمام أحمد ، صاحب المسند وصاحب المذهب ..الإمام الذي حج ماشيا خمس مرات ، وصلى عليه يوم وفاته مليون ونصف مليون مسلم ، وبكى عليه المسلمون واليهود والنصارى وغيرهم كثير.

تمكن الروس من ضم هذه المناطق إلى دولتهم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فبعد ابتلاعهم المناطق الإسلامية في إقليم الفولجا ــ أورال، وغربي سيبيريا، ومنطقة القرم ١٧٧٧م، وجورجيا ١٨٠١م، وقفقاسيا ١٨٦٤م، احتل الروس بخارى وسمرقند ١٨٦٨م واستولوا على خيوه ١٨٧٣م وخوقند ١٨٧٦م وضموا إليها فرغانة ،كما غزا الروس وادي سيحون واستولوا على طشقند ، وتقدموا نحو الجنوب الشرقي حتى وصلوا إلى بامير . وسيطر الروس على المنطقة ، وبدأوا بتطبيق سياسة تهدف إلى بقاء المنطقة خاضعة لهم ، وذلك بإبعاد المسلمين عن دينهم.

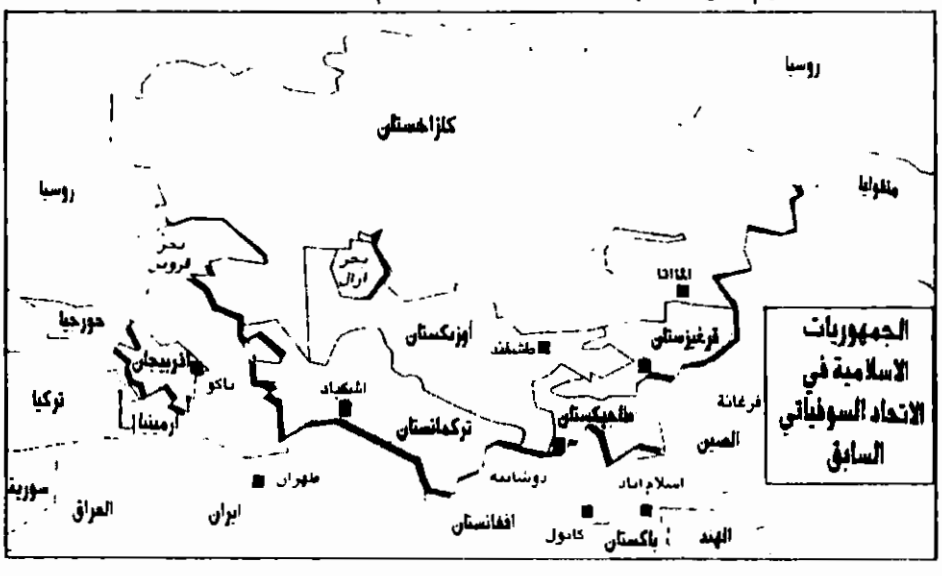

وعقب انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١م ، بعد بروز سياسة التغيير وإعادة البناء (البروسترويكا) والانفتاح على الغرب ، التي أعلنها الرئيس الروسي جورباتشوف ، برزت إلى الوجود الكيانات السياسية الإسلامية ، التي كانت ضمن جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق المنهار ، وهي جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية ، وهي كازاخستان ، وأوزبكستان ، وقيرغيزستان ، وطادجكستان ، وتركمانستان ، اضافة إلى جمهورية أذربيجان في القوقاز الجنوبي .

جمهورية كازاخستان :

كازاخستان كبرى جمهوريات آسيا الوسطى ، تقع أراضيها جنوب شرق ما كان يسمى بالاتحاد السوفيتى، تبلغ مساحتها ٢،٧١٧،٣٠٠كيلومترمربع ،وعدد سكانها حوالي ١٨مليون نسمة ،وتمتد من دلتا نهر الفولجا في الغرب إلى حدود الصين في الشرق وتقع بين سيبيريا في الشمال وجمهوريات تركمانستان ، وأوزبكستان، وقيرغيزيا في الجنوب ، ويجري بها أنهار سيحون ، وارتيش ، وأورال ، وعاصمتها مدينة آلما أضا ، أي بلد التفاح ، وكازاخستان جمهورية غنية بثرواتها الزراعية والحيوانية والمعدنية ، وكانت تعد مخزنا لمعادن الامبراطورية الروسية ، كالكروم والنحاس والرصاص والفحم والنفط وغيرها . وهي إحدى الجمهوريات السوفيتيه النووية السابقة ، ومن أرضها كانت تطلق سفن الفضاء ، وتعد كازاخستان قاعدة تكنولوجية كبيرة ، بها أكاديمية للعلوم و٢٠٧ معهدا للبحث العلمي و٢٤٧معهدا فنيا ، ويقدر عدد العاملين في المجال التكنولوجي بحوالي ١٧٠ ألفا ، وكان بها نحو ٤١٤٠٠ عالم وخبير في مجالات الفضاء والذرة .

والكازاك هم أول شعب دق أول إسفين في جسد الامبراطورية السوفييتية المترهل، بثوراتهم ومظاهراتهم فى ديسمبر عام ١٩٨٦م.

فى ١٦ ديسمبر ١٩٩١ تغير اسم الجمهورية من الجمهورية الكازخية إلى جمهورية كازاخستان، بعد اسقاط كلمتى الاشتراكية والسوفياتية .

ومنذ انهيار الاتحاد السوفيتى السابق تستقطب كازاخستان اهتمام العالم بوصفها احدى الدول الأربع التى آل إليها الإرث النووى السوفياتى القديم .

وكازخستان تكاد تكون الدولة الإسلامية لوحيدة التى يشكل أبناء قوميتها الأصلية (الكازاخ) ما يقل عنه نصف عدد سكانها، ويعيش فى كازاخستان ممثلو ما يقرب من مائة قومية، ويبلغ عدد الروس المقيمين فيها ما يقرب من نصف تعداد الجمهورية نتيجة التهجير القسرى إلى هذه البلاد التى كانت نائية إبان العهد القيصرى والسلطة الستالينية فى ما بعد.

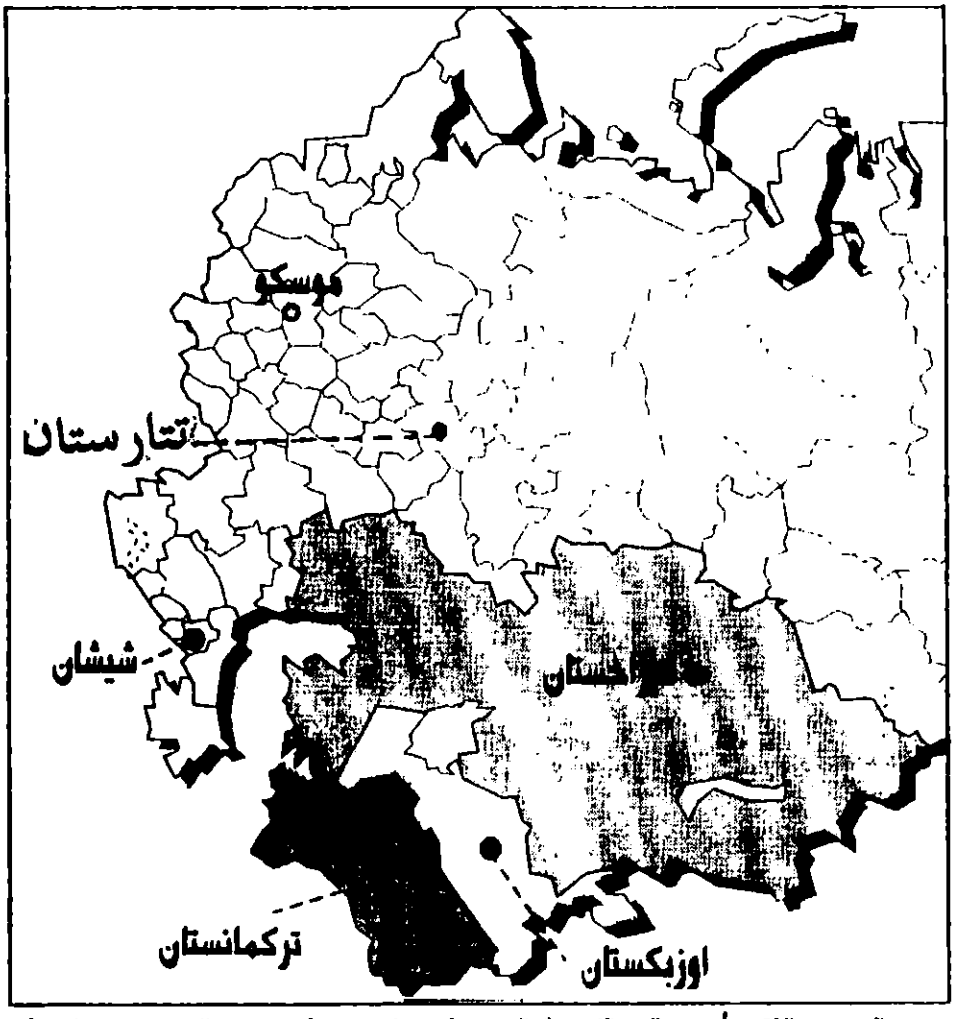

والجدير بالذكر أن ممثلى القومية الروسية يعيش معظمهم فى المدن ، بينما يقطن ممثلى القومية الكازاخية فى معظم الريف وسهوب وبرارى كازاخستان .

٣- جمهورية أوزبكستان :

أوزبكستان دولة وسط تشترك في حدودها مع الجمهوريات التركستانية الأربعة الأخرى ، كازاكستان وتركمانستان ، وطادجكستان وقيرغيزستان ، فضلا عن حدودها مع أفغانستان وتبلغ مساحتها نحو ٤٠٨،٠٠٠كيلومترمربع ، ويقدر عدد سكانها بنحو ٢٦ مليون نسمة ، ويعد الأوزبك أكبر مجموعة عرقية بعد المجموعة الصقلبية في الاتحاد السوفييتي المنهار ، وكانت سمرقند عاصمة هذه الجمهورية ، ولما لم يستطع الشيوعيون أن يغيروا من الطابع الإسلامي لها ، نقلت العاصمة إلى طشقند لارتفاع نسبة الروس بها.

وأوزبكستان أكثر دول اسيا الوسطى غنى بالنفط والغاز الطبيعي ، خصوصا في مناطقها الشمالية والشمالية الغربية القريبة من بحر آرال . وتعد ثالث منتج للقطن في العالم ، كما يستخرج منها النحاس والتنجستن والزنك والرصاص ، فضلا عن الألمونيوم والذهب . لذلك بدأت بها الصناعات التعدينية منذ عام ١٩٤٦ ، وبالجمهورية أكاديمية للعلوم و١٨٨ معهدا للبحوث العلمية و ٢٤٦ معهدا فنيا ، وعشرات الآلاف من العلماء والخبراء .

ويحكم البلاد الحزب الشيوعي ، وهناك أحزاب أخرى منها حزب النهضة الإسلامي ، وهو فرع لحزب النهضة الإسلامية في كل الاتحاد السوفييتي السابق ، وتصدر تعاليمه من المجلس الأعلى للحزب في القوقاز الجنوبي ، ويدعو إلى توحيد تركستان وإقامة الامبراطورية التركستانية في آسيا الوسطى وأذربيجان .

وتضم أوزبكستان أعرق المدن في التاريخ مثل بخارى ، منبت الإمام البخاري ، وتقع على نهر زرافشان ، وسمرقند وتقع على نهر سيحون ، وخيوه وتقع على الضفة الغربية لنهر جيحون ، وطشقند .

٣-جمهورية تركمانستان :

تقع تركمانستان إلى الجنوب الغربي من مجموعة دول آسيا الإسلامية ، وتطل على بحر قزوين ، وتشترك حدودها مع كازاكستان وأوزبكستان وإيران وأفغانستان ، وتبلغ مساحتها بنحو ٤٤٥،٠٠٠كيلومترمربع ، قدر مساحة فرنسا ، ومعظم سطحها عبارة عن هضبة صحراوية مستوية ، وعدد سكانها يقدر بحوالي ٤،٥مليون نسمة أغلبهم من المسلمين ، ومن أهم مدنها ، عشق آباد ، وتقع جنوبي البلاد قرب الحدود الإيرانية ، ومدينة مرو ، وكانت مركزا لإقليم خراسان أيام الحكم العربي الإسلامي . وقد عرفت تركمانستان في العصور الإسلامية المتقدمة باسم خوارزم ، وقد أنجبت الكثير من العلماء والقادة المسلمين الذين أسهموا في بناء الحضارة الإسلامية العريقة ، ولعبوا أدوارا مهمة في التاريخ الإسلامي ، ومن أشهرهم الخوارزمي وابن سينا الطبيب المسلم الشهير ، والجدير بالذكر أن تركمانستان قد عاشت في ظل الإسلام عصرا ذهبيا ، إذظهرت فيها دول إسلامية قوية كدولة السلاجقة ، والدولة التيمورية ، والدولة العثمانية في الأناضول ، والتي كان مؤسسها من تركمانستان ، وفي العصور التتارية كانت تركمانستان مركز قوة ومنعة ، وظلت كذلك حتى دب النزاع والشقاق والخلاف بين الإمارات التتارية في القرن الرابع عشر الميلادي ، مما عرضهم لهزائم متتالية على أيدي الروس .

وتعاني الجمهورية من أزمات اقتصادية ، رغم أنها دولة نفطية ويستخرج من أرضها الغاز الطبيعي ، الذي يمكنها من تحقيق التقدم الاقتصادي ، كما يزرع بها القطن ،

وما زال الحكم الشيوعي باسطا جناحيه ، ويتخوف من تنامي المد الإسلامي والذي ينمو ببطء .

وعلى أي حال فمنذ الاستقلال بدأت العودة التدريجية للتمسك بالإسلام والثقافة الإسلامية ، وانتشرت المساجد والجوامع بشكل كبير ، وأنشئت وزارة للشئون الدينية ، وتم افتتاح كلية للشريعة الإسلامية .

٤-جمهورية قيرغيزيا :

وتقع على سلسلة جبال تيان شان ، وتجاور كل من كازاكستان ، وأوزبكستان ، وطادجكستان والصين ، وتبلغ مساحتها ١٩٨،٥٠٠كيلو متر مربع ، ويصل عدد سكانها إلى نحو ٤،٥مليون نسمة معظمهم من المسلمين ، وبدأ الاستعمار الروسي لها بتأسيس القرى الروسية ، واستمر ازدياد الروس ، وتناقص القرغيز نتيجة الثورات ضد الروس ، والهرب من البلاد ، وحروب الإبادة إبان طغيان الحكم الشيوعي . وتسمى العاصمة فرونزي ، نسبة إلى القائد الروسي ، ميخائيل فرونزي الذي قاد الروس في قتال القرغيز واستعمار بلادهم ، وقد استبسل القرغيز في الدفاع عن بلادهم ، وطالب قادتهم بعدم تصدير الخبز قبل شبع القرغيز ، وقاموا بذبح أغنامهم ، ورفضوا تسليمها للمسؤولين الروس ، لذلك كان يطرد من الحزب الشيوعي الأعضاء من القيرغيز ، ولو كانوا في أعلى المراتب .

ولا يزال الحزب الشيوعي يتولى السلطة في البلاد ، وكان رئيسها أول رئيس مسلم يزور إسرائيل بعد زيارة السادات لها عام ١٩٧٧ م .

٥-جمهورية طادجكستان :

تبلغ مساحتها ١٤٣،٠٠٠كيلو مترمربع ، وهي من أصغر جمهوريات آسيا الوسطى ،وتشغل هضبة بامير ــ أعلى هضاب العالم ــ أكثر من نصف المساحة ، وعدد سكانها حوالى ٥,٥ مليون نسمة ، والعاصمة دوشنبيه (ستالين آباد) والسكان من أصل إيراني.

ويبلغ المجموع الكلي للمسلمين في جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية الست ، أي بما فيها أذربيجان نحو ٦٠مليون نسمة ، يشغلون مساحة جغرافية تقدر ب ٣،٩٥٢،٢٠٠ كيلو متر مربع ، ونسبة المسلمين في هذه الجمهوريات تصل إلى ٧٥% من المجموع الكلي للسكان . وتعد جمهورية طادجكستان من أكثر الجمهوريات اشتعالا بالصراع في وسط آسيا ، إذ هي صاحبة أطول حدود مع أفغانستان ، وشهد أهلها انتصار المجاهدين الأفغان على إمبراطورية الإلحاد السوفيتية ، كما أن لها حدودا مشتركة مع إقليم كشمير

الإسلامي ، ولها حدود مع إقليم سينكيانج الصيني ذي الأغلبية المسلمة الذي طالما تطلع أهله إلى من يشاركونهم في العقيدة في آسيا الإسلامية .

وبمجرد أن ظهرت بوادر الصحوة الإسلامية في طادجكستان عام ١٩٩٢، وأعلن عن تكوين حزب النهضة الإسلامية في إطار التعددية التي أعلنها جورباتشوف في أواخر الثمانينات ، أسرعت الولايات المتحدة الأمريكية والدول العلمانية لمساندة روسيا وإجهاض الصحوة الإسلامية باستخدام الجيش وقمع الحركة ، وعدم السماح بإقامة دولة إسلامية ، وفرض حالة الطوارئ شبه الدائمة على العاصمة دوشانبية ، وتم استعادة قصر الرئاسة والبرلمان ومطار العاصمة من أيدي المسلمين .

ويصنف المسلمون في جمهوريات آسيا الوسطى عرقيا إلى :

[١] **المجموعة التركية** وتضم حوالي ٤٥مليون نسمة ، وأهم عناصرها الأوزبك ١٤مليون نسمة ، ثم الكازاك والتتار والآذريون والتركمان والقرغيز والبشكير وغيرها .

[٢] **المجموعة الإيرانية** وتضم ست قوميات ويبلغ تعدادها ٤،٥ مليون نسمة ، أهمها الطاجيك والفرس والبلوش والأكراد .

ويدير شئون المسلمين في الجمهوريات الست ، مراكز دينية ــ قامت على أنقاض دور الإفتاء التي تأسست عام ١٧٨٨م في مدينة أورنبرج ، وفي القرم عام ١٨٣١م ، وفي عام ١٨٧٢م في ما وراء القوقاز ــ مثل الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان، ومقرها طشقند عاصمة أوزبكستان ، وتعد من أكبر الإدارات الدينية وأهمها إذ تشرف على إصدار المطبوعات الإسلامية ، والسفر إلى بيت الله الحرام .

وأهم ما يميز الخط البياني للحركة الإسلامية ، في آسيا الوسطى هو الجهاد ضد الاحتلال القيصري ، وهي مرحلة اتسمت بطابع الدفاع عن السيادة الإسلامية والهوية الإسلامية في مواجهة الإلحاد الشيوعي ، بعد سقوط القيصرية ومجيئ البلاشفة إلى الحكم، حيث ظهرت الجمعيات والمؤسسات الدينية التي ناهضت الثورة البلشفية ووقفت في وجه الإلحاد المنظم ، ودعت إلى التوحيد ، وسرعان ما تحولت إلى أحزاب إسلامية على رأسها حزب النهضة الإسلامي[١].

سياسة التخريب الشيوعية في آسيا الوسطى :

مارست السلطات الشيوعية سياسة التخريب المتعمد لكل ما يتعلق بالإسلام في جمهوريات آسيا الوسطى ، فتركت المساجد تنهار بفعل الزمن ، ومنعت عمليات الترميم

---

(١) مسعود الخوند ــ الموسوعة الجغرافية التاريخية ــ بيروت

والتجديد اللازمة ، كما منعت إعادة ما تهدم منها . أما المساجد التي قاومت تأثير الزمن فقد تم تحويلها إلى قاعات للعروض السينمائية أو دورات للمياه أو اسطبلات للخيول والحيوانات أو أماكن للهو والرقص ، بينما كان مصير عدد من المساجد الأثرية المهمة الإزالة والهدم ، ففي جمهورية كازاخستان تم تحويل أكبر مسجد فيها إلى كوم من الحجارة . كما تم نبش مقبرة الإمام الماتوريدي ، وإعطاء الأرض ليهودي قام ببناء مكان المقبرة ، وتعمد بناء دورة مياه بيته من حجارة المقبرة الأثرية ، وتقع هذه المقبرة في مدينة سمرقند .

ومن المشاهد التي كانت تبعث على الحزن والأسى ، وجود دورات للمياه داخل المدارس الثانوية المختلطة دون سواتر ولا حوائط ولا حواجز ، ويستخدمها الطلبة والطالبات على هذه الحال ، ذلك لطمس وكسر كل قيم الحياء والاحتشام في نفوس الأجيال الناشئة .

ولم تكتف السلطات الشيوعية بذلك ، بل فرضت تدريس مادة الإلحاد في جميع مراحل التعليم في محاولة لتكريس الحرب على الهوية الإسلامية لهذه الشعوب ، وتفريغ العقول من أي قيمة أخلاقية أو دينية وغرس القيم المادية الملحدة .

الإسلام لا يموت :

على الرغم مما قام به السوفييت ، لطمس الهوية الإسلامية والقومية ، فلم تتمكن السنوات السوفياتية من القضاء عليها على الرغم من الإجراءات العنيفة التي استخدمت واعتمدت لهذه الغاية اغلاق المساجد والمراكز الدينية وتحويلها إلى متاحف، وغيرها ، فقد انتهز مسلموا آسيا الوسطى الفرص الأولى المتاحة لهم ليؤكدوا تمسكهم بهويتهم الأصلية الإسلامية والقومية .

كان الإسلام هو الوسيلة الفعالة للدفاع عن أصالة شعوب آسيا الوسطى الإسلامية ، ومقاومة السيطرة السوفييتية ، وبدأت المجتمعات حركة انتشار واسعة للمساجد والجمعيات والأحزاب ، وعودة متسارعة للإسلام ، وبرزت الحركات التي تسعى لتوحيد شعوب المنطقة تحت راية الإسلام ، أبرزها حركة حزب النهضة الإسلامي ، الذي نما بسرعة وافتتح فروعا له في الدول الآسيوية كلها ، وينادي بمشروع تركستان الكبرى .

ومن العجيب أن دراسة علمية اجتماعية سوفييتية ، قام بها علماء قبيل انهيار الاتحاد السوفييتي السابق وطالت المسيحيين والمسلمين ، أظهرت أن ٨٠% من المسيحيين قد أعلنوا إلحادهم ، فيما تبين أن ٨٠%من مسلمي آسيا الوسطى ما يزالون يتمسكون بالدين الإسلامي . وعلى الرغم من الآثار العلمانية التي خلفها السوفييت طوال العقود الماضية ، تحولت روسيا من قوة عالمية كبرى إلى بلد من بلدان العالم الثالث

نعيش بلا أحلام .. وكل ما يهم هذا الشعب هو الحصول على لقمة عيش اليوم وليس عيش الغد ، ويعز الله من يشاء ، ويذل من يشاء ، ذلك بما قدمت أيديهم ، وما ربك بظلام للعبيد .

المسلمون في سيبيريا :

تعد سيبيريا أكبر صحراء جليدية في العالم ، تبلغ مساحتها ١٢مليون و ٨٠٠ ألف كيلومتر مربع ، تمثل نحو ٥٧% من إجمالي مساحة روسيا ، وتمتد لمسافة ٨٠٠٠ كيلومتر من جبال الأورال في الغرب إلى المحيط الباسيفيكي في الشرق ، وهي بهذا تفوق مساحة القارة الأوربية كلها ، وتشير التقديرات إلى أن عدد سكانها نحو ٣١ مليون نسمة ، وتقدر ثرواتها من ٦٠% : ٩٠% من إجمالي ثروات روسيا الطبيعية ، وأهم هذه الثروات النفط والغاز الطبيعي ، ومع ذلك فهي ليست جمهورية إنما مجرد إقليم تابع لروسيا الاتحادية .

كانت سيبيريا حاضرة إسلامية هامة ، ومن أهم المراكز الإسلامية في هذا الجزء من العالم ،عرفت الإسلام منذ وقت مبكر منذ القرن الهجري الأول ، حيث هاجر إليها عدد من الدعاة من آسيا الوسطى ،من بخارى وسمرقند ، وطشقند وقازان ، وغيرها من المدن الإسلامية ، بعد أن أصبح المسلمون على مقربة من سيبيريا ، بعد فتح التركستان عام ٩٥ من الهجرة .

وبعد الإسلام أول دين سماوي عرفته المناطق القطبية ، ولم تقف الظروف المناخية القاسية عائقا في سبيل نشر الدعوة الإسلامية . وإن استشهد عدد من الدعاة بسبب صعوبة المناخ ، وعثر مؤخرا على جثث سبعة من رواد العمل الدعوي مطمورة بين الثلوج ، تشير أيديهم إلى السماء ، كانوا في طريقهم إلى مجاهل سيبيريا للدعوة إلى الله تعالى كما تم العثور على بعض المساجد التي يعود تاريخها إلى القرن الثاني الهجري ، والتى شيدها دعاة الإسلام وفقا للعمارة الإسلامية التي اتسمت بالبساطة واستخدام التكنولوجيا المحلية المتوفرة في سيبيريا .

يعيش في سيبيريا نحو أربعة ملايين مسلم ، وهم خليط من المغول والتتار والسيبريين ، استطاع أحد الأمراء المغول وهو كوتشم خان أن يغزو سيبيريا ، وأن يتولى أمرها عام ٩٨٧من الهجرة ، ١٥٧٠ميلادية ، ويخضعها للحكم الإسلامي ويبذل قصارى جهده لدخول رعاياه الدين الاسلامي .

هاجم الروس سيبيريا واستطاعوا دخول قاعدة (كوتشم خان) سيبير عام ٩٨٨ من الهجره ، وأطلقوا على المنطقة كلها اسم سيبريا ، وبدأ الروس اضطهاد المسلمين بها ، ومع ذلك استمر قدوم الدعاة من بخارى وقازان لينشروا الإسلام بين قبائل التتار

الضاربة بين نهر أوب ونهر أرتيش ، ووضع العلماء القادمون من آسيا الوسطى المؤلفات في التفسير والحديث الشريف وكافة المعارف الإسلامية ، ولكن الروس القياصرة أبـــادوا هذا التراث الإسلامي الوفير ، وحولوا المساجد إلى مطاعم ومستودعات ومصانع خمور ، واتخذوا من سيبيريا منفى للشعوب المسلمة من منطقة آسيا الوسطى والقوقـاز ، وخـلال الحرب العلمية الثانية نقل الروس إلى سيبيريا نحو مليون ونصف المليـون نسـمة مـن المسلمين ، بعد تعرضهم لصنوف من القهر والتشريد والقضـاء علـى تراثـهم الثقـافي والإسلامي .

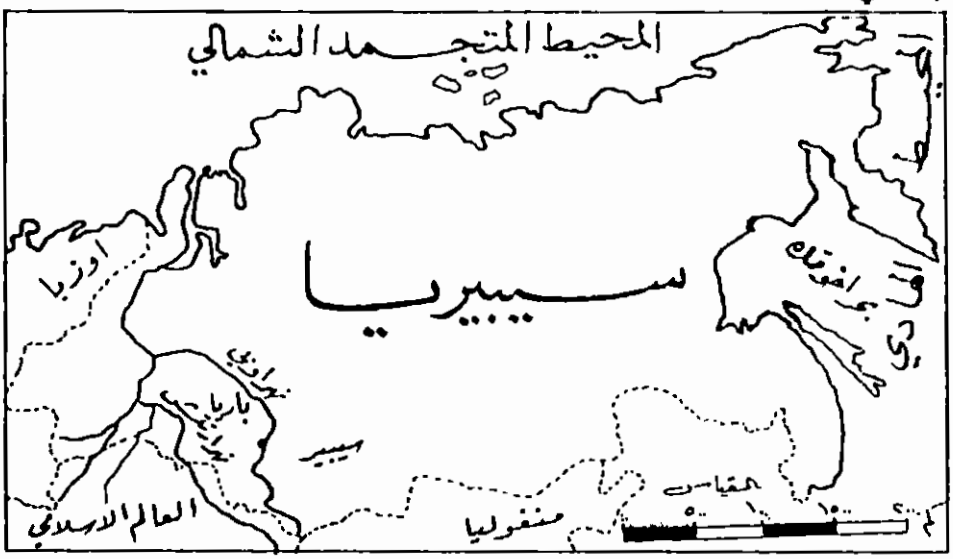

وفي عام ١٩٠٥م تعامل المسلمون في سيبيريا مع قانون التسامح الديني ، فدخلـت مدن وقرى بأكملها حظيرة الدين الإسلامي ، وتم إنشاء المدارس ومعاهد تحفيـظ القـرآن الكريم . وبعد انهيار الشيوعية وتفكك الاتحاد السوفييتي استرد مسلمو سـيبيريا حريتـهم فبنيت المساجد وتأسست المدارس والمؤسسات الدينية ، وتم إيفاد الدارسـين إلـى الـدول الإسلامية والعربية ، بالتعاون مع المؤسسات الخيرية الإسلامية .

المسلمون في حوض الفولجا وسفوح جبال الأورال :

انتشر الإسلام في منطقة حوض الفولجا مع بداية القرن الرابع الهجري بين قبـائل البلغار ، نتيجة جهود التجار والدعاة ، وكان مركزهم بالقرب من مدينة قازان . ومن هـذه المنطقة انتشر الإسلام في جنوب شرق أوروبا حين بدأت هذه القبائل تهاجر من موطنـها وتتجه نحو الجنوب ، وفي منتصف القرن السابع الهجري دخل المغول المنطقـة ، ولـم تلبث قبائلهم أن دخلت الإسلام واستقرت في مناطق لا تزال ذات أكثرية مسلمة اليـوم ،

وتشكل جمهوريات ذات استقلال ذاتي وهي: بشكيريا ، وتتاريا ، والجوفاش ، وموردوف، وأدمورت ، وماري ، وأورنبرج ، والقرم.

١- جمهورية بشكيريا :

تقع جمهورية بشكيريا في جنوب مرتفعات الأورال ، وتبلغ مساحتها نحو ١٤٣,٦٠٠ كيلو متر مربع ، ويقدر عدد سكانها بحوالي ٢ مليون نسمة وعاصمتها أوفا، منهم نحو مليون ونصف مسلم ، والبشكير قبائل يوغورية الأصل نزحت إليها ضمن القبائل المغولية التي استوطنت المنطقة عقب الغزو المغولي لها ، ويمثل البشكير اليوم ربع عدد السكان ، بينما تمثل ا لعناصر السلافية ما يقرب من نصف عدد السكان .

أخذ الإسلام ينتشر في المنطقة قبل الغزو المغولي للأراضي الروسية بقرون عديدة، ولما تفككت امبراطورية المغول استولى الروس عليها في عهد إيفان الرهيب، الذى صادر أراضيهم واستولى على ثرواتهم وأرغمهم الروس على التهجير القسري، ودخول المسيحية وإحلال العناصر السلافية محلهم .

قام البشكير بثورات عدة ضد الروس خلال القرن السابع عشر مطالبين بالاستقلال والحكم الذاتي ،فشلت جميعها ، وفي عام ١٩١٧م قاموا بحركة قومية إسلامية ضد البلاشفة ، فقام الجيش الأحمر بإخمادها واستولى على أراضى البشكير ، ولكن الأمر فى عام ١٩١٩ م بتحقيق مطلبهم وحصولهم على لحكم الذاتي وقيام جمهورية بشكيريا عام ١٩٢٣م.

٢- جمهورية الجوفاش :

تقع جمهورية الجوفاش إلى الغرب من جمهورية تتاريا وتبلغ مساحتها نحو ١٨,٣٠٠ كيلو متر مربع ، ويبلغ عدد سكانها حوالى ١,٣٣٦,٠٠٠ نسمة معظمهم مسلمون ، والعاصمة شبرقارى ، والجوفاش في الأصل قبائل تركية عاشت في كنف الامبراطورية المغولية واعتنقوا الإسلام ، ولما تفككت الامبراطورية أصبحت جزءا من إمارة قازان ،ثم سقطت في يد إيفان الرهيب في منتصف القرن السادس عشر وخضعت للاستبداد الروسي الذي جردهم من ممتلكاتهم وضغط عليهم ليتحولوا من الإسلام إلى المسيحية ، وعمل على إذابتهم فى العناصر السلافية التي أصبحت تمثل أكثرمن ربع السكان ،وفي عام ١٩٢٥م أصبحت جمهورية ذات حكم ذاتي ، وحول الروس مساجدها إلى اصطبلات وهدموا المساجد الكبيرة .

٣- جمهورية تتاريا "تتارستان" :

تتارستان احدى جمهوريات حوض الفولجا الأوسط ، تقع إلى الغرب من جمهورية بشكيريا ، وتتميز بأنها تقع بين أوروبا وآسيا ، وتبعد ٧٦٠كيلومتر إلى الشرق من

موسكو ، وتبلغ مساحتها نحو ٦٨٠٠٠ كيلومتر مربع ، ويبلغ عدد سكانها نحو مليون ونصف نسمة غالبيتهم من المسلمين ، عاصمتها قازان ، وهي إحدى الإمارات التتارية التي استقل بها حكامها بعد تفكك امبراطورية المغول ، وضمها الروس عام ١٧٨٣م ومارسوا تجاهها أبشع الممارسات من اضطهادات وتهجير قسري لسكانها إلى مناطق مختلفة في سيبيريا والتركستان ، وتعرضوا لصنوف القهر والتشريد انتقاما لما أنزله التتار المسلمون بالروس أكثر من ثلاثة قرون .

دخلها الإسلام على يد العالم العربي ابن فضلان ، وعدد من العلماء الذين رافقوه في الرحلة ، التي قام بها إلى تتارستان عام ٩٨٦م .

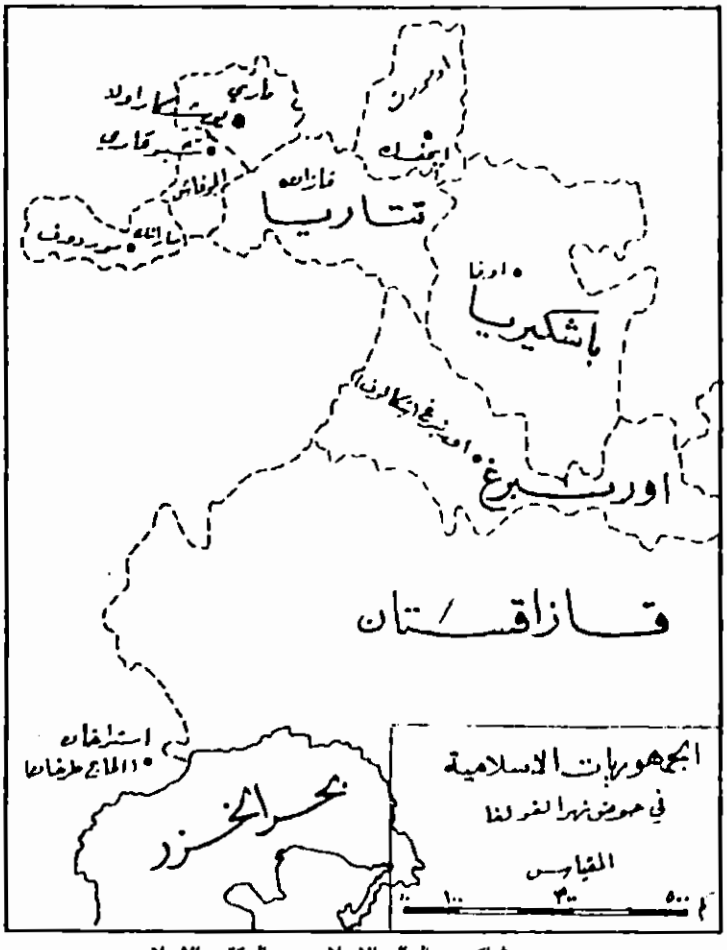

عن محمود شاكر ـ العالم الاسلامي ـ المكتب الإسلامي

أصبحت تتاريا جمهورية ذات حكم ذاتي في ٢٧ مايو ١٩٢٠م ، على إثر إلغاء السلطات الروسية لإمارة تتار قازان ،التي كانت تضم البشكير والجوفاش . والتتار شعب

مسلم من أهل السنة على المذهب الحنفي ، يعتزون بإسلامهم ، وأكثر أصولهم تركية . كان عددهم في بداية عهد ستالين يزيد عن ستة ملايين ، ثم تشتيتهم في أنحاء روسيا وفي غيرها من الجمهوريات ، ومنذ عام ١٩٩٠ والجمهورية تشهد مسيرات واضطرابات من أجل الاستقلال وإعلان هويتها الاسلامية ، ففي ١٤ أكتوبر من عام ١٩٩٠ نزل الناس إلى الشوارع يرددون شعار الله أكبر ويقرأ مشايخهم القرآن الكريم، وينادون بعودة ملايين المسلمين من التتار إلى بلادهم بعد أن قضوا ستين عاما في المنفى في القرم وسيبيريا وجبال الأورال وموسكو وسان بطرسبرج وغيرها ، هذا ويتكرر مثل هذا الإضراب في منتصف أكتوبر من كل عام (يوم الحزن) للمطالبة بجلاء روسيا عن بلادهم التي احتلوها منذ ٤٤٠ عاما .

قبل استيلاء السوفييت على السلطات ، كان في مدينة قازان عاصمة تتاريا جامعة إسلامية بها سبعة آلاف طالب في مستهل القرن العشرين ، وكان بها مكتبة يزورها عشرون ألف قارئ سنويا ، وانتشرت بها المساجد حتى بلغت مسجدا لكل ألف مسلم ، وانتشر الدعاة وطلاب الجامعة في القرى والفيافي يدعون الناس للإسلام ونشطوا في هذا الأمر بعد صدور قانون حرية الأديان عام ١٩٠٥م ، ونجحوا في بث الدعوة الإسلامية بين تتار سيبيريا .

بعد استيلاء السوفييات على الحكم ، تغيرت الأوضاع وواجه التتار حربا قاسية على معتقداتهم ، فأغلقت المدارس الإسلامية ودمرت المكتبات والمطابع الإسلامية في قازان عاصمة تتاريا وواجه المسلمون مواقف مؤلمة ، وثاروا ضد الاضطهاد الديني ، وقدموا العديد من الشهداء ، حتى الذين كانوا قد تعاونوا مع الشيوعيين في البداية مثل السلطان علي أوغلو عالييف نادى بتوحيد المسلمين في روسيا في كيان دولة واحدة ، وقبض عليه الروس عام ١٩٢٣م وأعدم عام ١٩٣٧ ، ورفض الروس وحدة أراضي المسلمين ، وأخذوا يفتتونها إلى قوميات ، وقاموا بدمج كل المناطق الإسلامية التي توجد في روسيا الأوربية في إدارة دينية واحدة مقرها في مدينة أوفا عاصمة جمهورية بشكيريا ، وتشرف على مسلمي سيبيريا أيضا ، ولما جردوا الإدارة من كل السلطات أصبحت أمرا شكليا !!

٤- جمهورية أورنبورج :

تقع جمهورية أورنبرج على نهر الأورال جنوب بشكيريا ، وقد أقيمت هذه الجمهورية بهدف الفصل بين مسلمي تركستان ، ومسلمي حوض الفولجا ، وهي ذات ماض اسلامي زاهر ، يعيش فيها نحو ١٥٢٠٠٠ نسمة معظمهم من أهل السنة .

٥- جمهورية موردوف :

تقع جمهورية موردوف في القسم الأوسط من روسيا الأوربية إقليم الفولجا ، ضمت إلى روسيا في أواسط القرن السادس عشر بعد سقوط إمارة قازان ، عدد سكانها ٢٥٠٠٠٠ نسمة ، نصفهم مسلمون ، وقامت ثورات ضد الحكم الروسي وأخمدت بوحشية ، وفقدت صبغتها الإسلامية عام ١٨٩٧م ، إذ كان فيها ١٠٠٠ مسجد ، وآلاف المدارس ،زال معظمها .

نالت الحكم الذاتي عام ١٩٣٠م وأصبح اسمها الجمهورية الموردفية عام ١٩٩١م في إطار روسيا الفدرالية .

٦- جمهورية أدمورت :

تقع جمهورية أدمورت في شرقي القسم الأوروبي من روسيا ، تبلغ مساحتها ٤٢١٠٠ كيلو مترمربع ،ويقدر عدد سكانها بنحو ١٧٠٠٠٠٠ نسمة ، ٦٠% منهم مسلمون ، احتلها الروس عام ١٥٥٣م

وأجبروا السكان على اعتناق المسيحية ، وأصبحوا يدينون بالمسيحية ، وفي عام ١٩٢٥ م. أعلنت الجمهورية ، فقام الروس باضطهادهم بعد إعلان حرية الاعتقاد وإعلان السكان أنهم مسلمون .

٧- جمهورية ماري :

احتلها الروس عام ١٥٦٠م ، وعدد سكانها يقدر بنحو ١٠٠٠٠٠ نسمة ، ٥٢% منهم مسلمون ، وصارت جمهورية ذات حكم ذاتي عام ١٩٩١م ذات تبعية لموسكو .